محمد على قطب

الشهيد وأوسمته العشرة

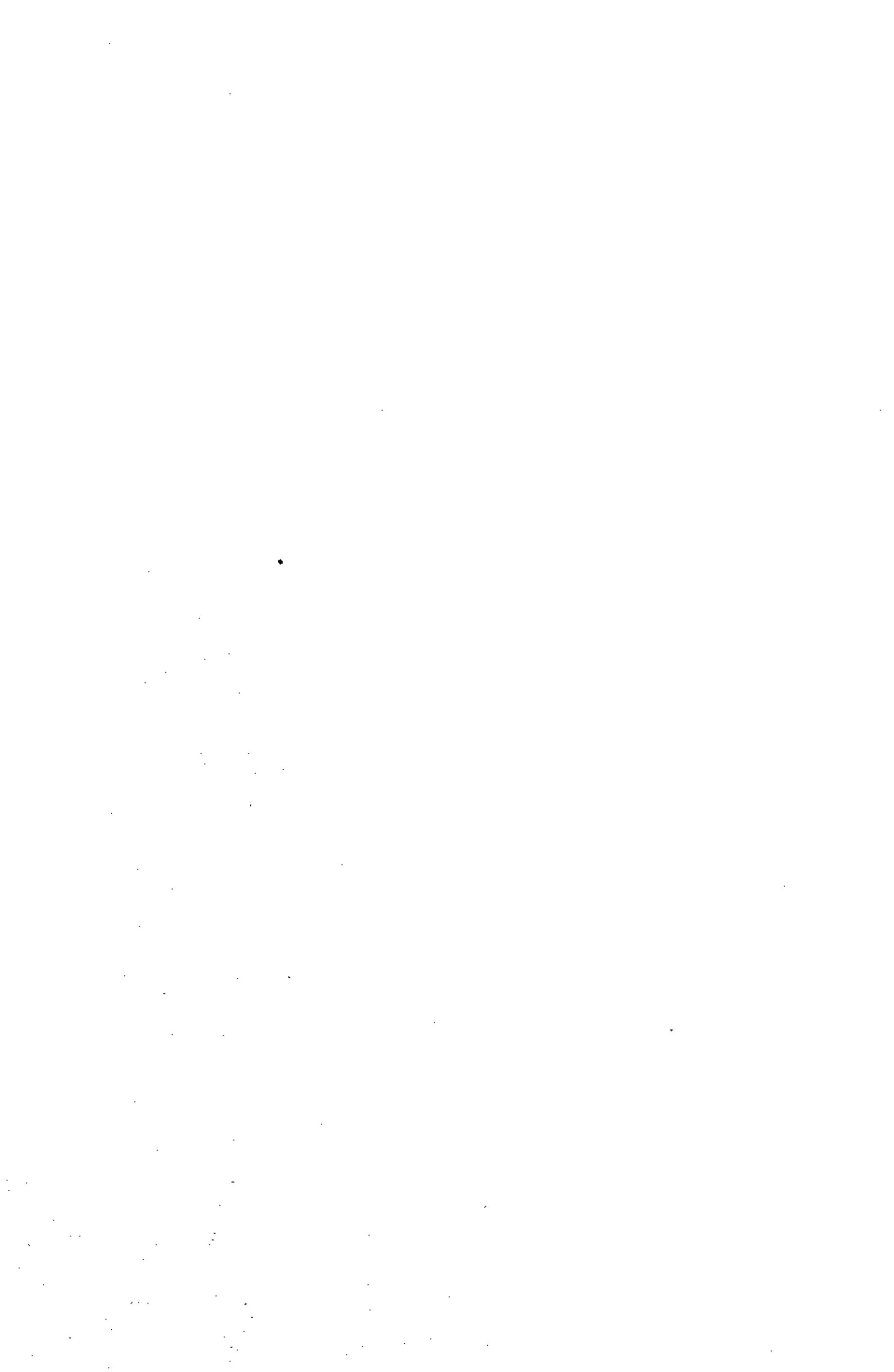
دار القلم
ص.ب : ٣٨٧٤
بيروت - لبنان

محمد علي قطب

الشهيد وأوسمته العشرة



بيروت - لبنان
ص . ب . ٣٨٧٤



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الَّذين قُتِلُوا فى سبيل الله أمْواتاً بل أَحْياءٌ[1] عِنْد رَبِّهم[2] يُرزقُونَ[3] * فرحين بما آتاهم[4] الله من فَضْلِهِ ويَستَبْشِرُونَ[5] بالَّذين لمْ يَلْحَقُوا بِهِم منْ خَلْفِهِم أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهُم[6] ولا هُم يَحْزنُون[7] * يَسْتَبْشرون بِنعْمَةٍ[8] من الله وفَضْلٍ[9] وأنّ الله لايُضيع[10] أجْر المؤمنين ﴾



المقــــدمة

إن الْحَمْد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونَسْتَغْفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يَهْده الله فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضْلل فلا هادى له .

ونَشْهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأنَّ محمَداً عبده ورسُوله ، بلَّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونَصَحَ الأُمّة .

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصَحْبه ، صلاة وسلاماً دائميْن إلى يَوْم الدين .

فإن الشَّهادَةَ بمَبْناها ومعناها، من حَيْث اللَّفْظ الحَرْفىّ ومن حَيْث مَضْمُونها ودلالتها [وقْف] على الإسلام وَحْدَه ، دُونَ غَيْره من الرسالات السماويْة والأغْراف الإنسانية الأمميَّة ...

وَلَقَدْ تَأَثَّرتْ بَعْضُ الجهاتَ الأيْديولوجية بِسُمُوّ المعنى ونُبْل الْغَرَض ، فَأَطْلَقَتْهُ تَجَوُّزاً واصْطلاحاً على الّذين يُقْضَوْنَ وَيموتُونَ فى سبيل ماتَحَملُوا من فكْر .. وتصوُّر ، سواءً من يموتون منهم فى ميْدان معركةٍ ، أوْ من جرّاء حُكْم ظالِمٍ أو تَعُسفى .. !

ولقد دَرَجَتَ بَعْض الدُّوَل والأُمَم فى العصور الحديثة المُتأَخِّرة على آبْتكار رمْزٍ تُكَرِّمُ بِهِ أَحياءَها أَمْواتها مِمَّنْ يُؤَدُّون خدماتٍ جُلّى، للْوطنِ أَوْ للأُمَّة أو للنظامْ كما أَنّها تَدرَّجَتّ بهذا الرَّمْز تَبَعاً لقيمةِ الخدْمة ، وسَمُّوا ذلك الرَّمز : [وساماً] .

ونَحْنُ فى مَعْرضِ الحديث عن الشهادة نَوَدُّ أَنْ نَعُودَ بها إلى أصالتها وحقيقتها ، لِأَنّها قد آخَتَلَطَتْ اختلاطاً كبيراً وكثيراً .. ، ثم تداخلتْ حتى فَقَدَتْ مُعْطياتها وميزاتها ومميّزاتها .. !

وكذلك ...

فإِنَّ الأَوْسَمِةَ الَّتى آخْتَص الله تعالى بها الشَّهيد فى سبيله جديرة بالْبَحْث والدرس والتَّحْليل ، والتَّعْليق ،

وهى قد خرجت عن مَدْلولها الرمّزى ، إلى حقيقة التَّكْريم ...
وصَدَق الله العظيم .

وآخر دَعْوانا أنِ الحمد لله رَبِّ العالمين

* * *

[الشـــهيد فى الإســـلام]

لفظة (الشهيد) فى القُرْآن :

وَرَدَتْ لَفْظَةُ (الشهيد) فى القرآن الكريم ، بمختلف صِيَغها ، بَيْن إفرادٍ وتثنيةٍ وجَمْع خَمْساً وخمسين مرة ، ولقد راوَحَتْ بَيْن مَعْنَيَيْهَا اللغوىّ والاصطلاحى

المعنى اللّغوىّ :

يُقال : شهد الشئْء فهو شاهد ، أى حَضَرَهُ ، لَقَوْله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنكُم الشَّهْر فَلْيَصُمْهُ ﴾[1] .

ويُقال : شهد بِهِ إذا أخبر به عن مشاهدةٍ بالْبَصَر ، أو عن مشاهدةٍ بالبصيرة – وهى الاعتقاد والعلْم – ، كقَوْلِهِ تعالى : ﴿ وما شهِدنا إلاّ بما عَلُمْنا ﴾[2] .

قال « ابن منظور »[3] :

---

(١) البقرة (١٨٥) (٢) يوسف (٨١)
(٣) لسان العرب .

(قيل الشهيد : الذى لا يغيبُ عن عِلْمه شىْء ، والشهيد . الحاضر ، فقيل ، من أبْنية المبالغة ، من فاعل . فإذا اعتبر العلْم مُطْلقاً فهو : العليم ، وإذا أُضيف إلى الأمور الباطنة فهُو : الخبير ، وإذا أُضيف إلى الأمور الظاهرة فهُوَ : الشهيد ...)

(استشهد فلان ، فهُوَ : شهيد ، والمشاهدة : المعاينة . وشهده شهوداً أى : حَضَرَهُ ، فهُو : شاهد .

وقوْم شهُود ، أى : حُضور ، وامرأةٌ مُشْهَد ، أى : حاضِرة البَعْل .

وفى حديث « عائشة » - رضى الله عنها - : قالت لا مرأة « عثمان بنَ مْظعُون » وقد تركت الخضاب والطّيب : أمشهد أم مغيب ؟ قالت : مشهد كمغيب ، تريد أنَّ زوْجها حاضر ولكنه لا يَقْربها فهُو كالغائب عنها) (أ . هـ)

* * *

وعن « النَّضْر بن شميل » الشهيد هُوَ الحيّ

قال « أبومَنْصُور » أراهُ تأوّل قوْل الله عَزّ وَجَلّ :

﴿ ولاتحْسَبَنّ الذين قُتِلُوا فى سبيل الله أمْواتاً بل أحْياءٌ عنْد رَبّهم يُرْزقون ﴾[1] .

كأنّ أرْواحَهُم أُحْضِرَتْ دار السّلام أحياء ، وأرْواحُ غَيْرهم أُخّرتْ إلى البَعْث .

ثم يَقُول :

والشهيد : المقتول فى سبيل الله والجمْعُ : شُهَداء[2] .

قال « السهيلى :

وهذا الإسْم مأخوذٌ من الشهادة ، أو من المشاهدة ، فإن كان من الشهادة فهو شهيد بمعنى مشهود ، أى مشهود عَلَيْه ومشهود له بالحسنة . أى مشهود عليه فلأنّ النبىّ ﷺ حين وقف على قتْلى « أُحُد » قال : [**هؤلاء الذين أشْهَد عَلَيْهم**] .

أى أَشْهَدُ عليهم بالوفاء .

---

(١) سورة : آل عمران – الآية : ١٦٩ (٢) اللسان : لابن منظور .

وقال : (عليهم) ولم يَقُلْ (لهُمْ) ،لأن المعنى : أجىء يَوْم القيامة شهيداً عليهم ؛ وهى ولايةٌ وقيادة .

ويجوز أن يكون من الشهادة ، وتكون (فعيلاً) بمعنى (فاعل) ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وتكُونُوا شهداء على الناس** ﴾ أى : تشهدون عليهم .

وهذا ، وإن كان عاماً فى جميع أُمَّة « محمد » – عليه الصلاة والسلام – فالشهداء أَوْلى بهذا الإسْم ، إذ هُمْ تَبَعٌ للنبيِّين والصِّديقين .

قال تعالى :

﴿ **فأولئك مَعَ الذين أَنْعم الله عَلَيْهم من النَّبِيِّين والصِّدّيقين والشُهداء والصالحين** ﴾[1] .

وإن كان من (المشاهد) فهو (فعيل) بمعنى (فاعل) أَيْضاً ، لأَنَّه يُشاهِدُ ملكوت الله ويُعاينُ من ملائكتِه ما لايُشاهد غيرْه .

ويكون أَيْضاً بمعنى (مفعول) وهو من المشاهدة ، أى أن الملائكة تُشاهد قَبْضَهُ والعروج بروحِهِ .

وأَوْلاها كُلّها بالصِّحَّة أنْ يكون (فعيلا) بمعنى (مفعول) ؛

---

(١) النساء : ٦٩ .

ويكون معناه : مَشهُوداً لهُ بالَحسَنَةِ ، أو يَشْهدُ عليه النبى ﷺ بالمعنى السابق .

ولقد نَقَلَ الإسلام لفظة الشهيد من مَدْلُولها اللَّفْظىِّ المجرَّد الذى هُوَ - كما قدَّمنا - : الحضور ، أو الْعِلْم ، أو المشاهدة ، إلى معنى اصطلاحىّ ، هُوَ : مَنْ قُتِلَ فى سَبِيلِ الله صابراً مُحْتَسِباً ، مُقْبِلاً غَيْر مُدْبر .

وقد نَقَل « ابْنُ حَجَر » فى كتابه « فَتْح البارى » - كتاب الجهاد - أسباباً مختلفة فى تعليل هذه التَّسْمية ، منها :

١ - لأن الشهيد حىّ ، فكأنما روحه شاهدة ، أى حاضِرَة .

٢ - لأن الله يشهد عند خروج رُوحِهِ ما أَعَدَّ لَهُ من الكرامة بالْقَتْل .

٣ - لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنّة .

٤ - لأنه يشهد له بالأمانِ من النّار .

٥ - لأن الملائكة تشهد له بحُسْن الخاتمة .

٦ - لأن الأنبياء يشهدون له بحُسْن الاتّباع .

٧ - لأن الله يشهد له بحُسْن نيّتِهِ .

٨ - لأنه شاهد الملائكة عند احتضاره .

ســبيل الله ...

ولقد كان مَصَدَرُ تحديد معنى سبيل الله فى الاصطلاح الشرعى هو الأحاديث الكثيرة المَرْويّة عن رسُول الله ﷺ ، فقد نَقَلَ الحافظ « المنذرى » فى مختصره لصحيح « مسلم » عن « أبى مُوسى الأشعرى » – رضى الله عنه – أن رجُلاً أعرابيّاً أتى النبىَّ ﷺ فقال :

[يا رسُول الله ... الرَّجُلْ يُقاتِلُ للمغْنم ، والرُّجُل يُقاتِلُ للذِّكْر ، والرَّجُلَ يُقاتل ليُرى مكانه ، فَمَنْ فى سبيل الله ؟؟

فقال رسُول الله ﷺ :

– من قاتل لتكُون كلمةُ الله أَعْلى فهو فى سبيل الله] .

ونُقل عن « سليمان بن يسار » – رضى الله عنه – قال :

تفَرَّق الناسُ عن « أبى هريرة » فقال له [ناتِلُ][1] أهل الشام ، وفى رواية [ناقل] الشّام :

---

(١) هكذا .

– أيّها الشّيخ حَدِّثنى حديثاً سَمِعْتَهُ من رسُول الله ﷺ ،
قال :

– نعم ، سَمِعْتُ رسُول الله ﷺ يقول :
[إنَّ أوَّل الناس يُقْضى يوم القيامة عَلَيْه رَجُلٌ استُشْهد فَأُتِىَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفها ، قال ، فما عَمِلْتَ فيها ؟ قال : قاتَلْتُ فيك حتى آستُشْهِدت ، قال : كَذَبْتَ ، ولكنّك قاتلْت لأن يُقال : جرىء ، فقد قيل . ثم أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِىَ فى النّار ...] ثم أكمَل الحديث .

روُى عن « قَتَادة » – رضى الله عنه – عن رسُول الله ﷺ :
[أنَّهُ قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد فى سبيل الله ؛ والإيمان بالله أفضل الأعمال .

فقام رجُل فقال :
– يارسُول الله أرَأيتَ إن قُتِلْتُ فى سبيل الله تُكَفَّر عنّى خطاياى ؟
فقال له رسُول الله ﷺ :

– نعم إن قُتلْتَ وأنْتَ صابر محتسب مُقْبِلٌ غَيْر مُدبر .
ثم قال رسُولُ الله ﷺ :
– وكيْف قُلْتَ ؟؟

قال .

– أرأيت إن قُتِلْتُ فى سبيل الله أتُكفَّر عَنّى خطاياى ؟؟

فقال رسُولُ الله ﷺ :

– نعم وأنْتَ صابر محتسب، مُقْبِلَ غير مُدبرٍ ... إلاّ الديْن ... فإنّ جِبْريل قال لى ذلك] .

وواضحٌ من هذه الأحاديث أنّ مَنْ قاتل لِتكُونَ كلِمَةُ الله هى العُلْيا فهو فى سبيل الله ، وليْس ثَمَّة شيْء غير هذا .

على أنه قد يكون المقاتل قاصداً الجهاد فى سبيل الله وهُوَ يُدافعُ عن أرْض وطنه وعشيرتِهِ وقوْمه ؛ ولكن ينْبغى أن يكون هذا المعنى بارزاً فى نفسه متحققاً منه بحيْث يكون منطلقه ابتداءً من مفهوم إعلاء كلمة الله ، وإعْزاز دينه .

الشــهيدُ فى الإســلام

ولقد أطلق الإسلام على كل من قُتِل وهو يجاهد الكفّار لإعلاء كلمة الله وصْف الشهيد ، وهو من قاتل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العُلْيا .

ولكن ثَمَّة نُقُولٌ أُخرى عن رسُول الله ﷺ تعرِّف الشهيد بتعريفاتٍ أُخر ؛ فقد روى الإمام « أحمد » و « ابن حبّان » عن « سعيد بن زَيْد » – رضى الله عنه – قال : قال رسُولُ الله ﷺ :

– [**ما تعدُّون الشّهيد فيكُم ؟**

فقالوا :

– من قُتِلَ فى سبيل الله .

فقال رسُولُ الله ﷺ :

– **إن شهداء أُمّتى لقليل !!! مَنْ قُتِلَ دون مالِهِ فهو شهيد ، ومن قُتِل دون دَمِهِ فهو شهيد ، ومن قُتِل دُون دينه فهو شهيد ، ومن قُتِل دون أَهْله فهو شهيد**] .

وقد روى « البخارى » عن « أبى هريرة » – رضى الله تعالى عنه

[أن رسُول الله ﷺ قال :

– **الشهداء خمسة : المطعون والمبْطون والغَرِق وصاحِبُ الْهَدْم والشهيد فى سبِيل الله] .**

ونقل « المنذرى » عن « أبى هريرة » – رضى الله عنه – :

[جاء رجل إلى رسُول الله ﷺ فقال :

يارسُول الله !! أرأيْت إن جاءَ رجُلٌ يريد أخْذَ مالى ؟

قال : فلاتُعْطيه مالك ...

قال : أرأيْتَ إن قاتلنى ؟

قال : قاتِلْهُ ...

قال : أرأيْتَ إن قَتَلنى ؟

قال : فأنْتَ شهيد .

قال : أَرَأَيْتَ إن قَتَلْتُهُ ؟

قال : هُوَ فى النّار] .

* * *

كما نقَلَ « ابن حَجَر » رواياتٍ أُخْرى تُنَوِّعُ وَصْف الشهيد ، وتضيفُ إلى ما سَبَق صاحِبَ ذات الجَنْب ، والمرأة تموتُ وهى نُفَساء ، أو التى تموت وولدها فى بَطْنها ، والْحَرَق .

ولـ « النسائى » من حديث « ابن زيد » مَرْفوعاً :

[مَنْ قُتِلَ دون مَظْلمتِهِ فهُوَ شهيد] .

وكذلك فقد وَرَد من حديث « أبى مالك الأشعرىّ » مرفوعاً :

[من وَقَصَهُ فَرَسُهُ أَوْ بعيرُهُ فهو شهيد] .

[ومن لَدَغَتْهُ هامةٌ فَهُوَ شهيد] .

وصَحَّح « الدارقطنى » من حديث « ابن عمر » :

[مَوْتُ الغريب شهادة] .

ولـ « ابن حِبَان » من حديث « أبى هُرَيْرة » :

[من مات مُرابُطاً فهو شهيد]

ولِـ « الطبرانى » من حديث « ابن عباس » مرفوعاً :

[المرء يموت على فراشِهِ فى سبيل الله شهيد]

وقال ذلك أيْضاً فى :

[الشَّريق والذى يَفْتَرِسُهُ السَّبُع] .

* * *

وقد قال « ابن حجر » إنّه قد اجتمع له من الطُّرُق الجيّدة أكثر من عشرين خَصْلة ، إذا مات الإنسان متصفاً بإحْداها كان شهيداً .

ونقل « ابن التين » أن هذه كلها ميتات فيها شِدَّة تفضّل الله على أمَّة « محمد » ﷺ بأنها جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة فى أجورهم ، ويُبلِّغُهم بها مراتب الشُهداء[1] .

---

(١) كتاب الشهيد فى الإسلام لمفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ – حسن خالد .

الوســامُ الأوّل :

﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الّذين قُتِلُوا فى سبيل الله أَمْواتاً بل أَحْياءٌ .. ﴾

أيها الإنسان المؤمن ،

ذلك الذى كان حاضراً شاهداً ، بقلْبِهِ وحِسِّهِ وعَقْلِهِ ، لِبصره ولِبصيرتِهِ ، استشهادَ الذين قُتِلُوا فى سبيل الله يَوْم « أُحُدٍ » ، وعلى رأسهم سيّد الشهداء « حَمْزَة بن عبدالمطلّب » - أسَد الله - رضى الله عنهم أجمعين ...

أيُّها الإنسانُ المؤمن ...

لا تَظُنَّنَّهُمْ أَمْوَاتاً من حَيَث الظاهر الذى ترى ، بل هم أَحْياء ...

فالظَّنّ لا يُغْنى من الحقّ شيْئا ...

ذلك أَنَّ حقيقة الموْت لا يعرفُها بأَبْعادها وصُوَرِها وأجوائها وانتقالاتها وآنفعالاتها ... و ... إلخ ، إلا الله تعالى ،

وهو سُبْحانَهُ ، الذى يَقُولُ فى شَأْنِ الذين يُقْتلُون فى سبيلِهِ أنَّهُم : أحْيــاء .

ويؤكّد على تلْك الحقيقة بمعناها ومبْناها فى آيةِ أُخرى فَيَقُول عَزّ من قائل :

﴿ ولا تقُولُوا لِمنْ يُقتل فى سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تَشْعُرون ﴾

فَكانَّه سُبْحانه – جلَّ شأْنُهُ – يُجَرِّدُ تِلْك الحقيقة من كُلّ لَبْسٍ مُمْكِن أوْ وَهُم يُمْكنُ أنّ يَعْروها لدى الرائى فى الرؤية العاديَّة البسيطة ، وتَرفعُها إلى مُستَوىً عالٍ فَوْق كُلّ تَصوُّرٍ وإدْراك ، وذلك من خلال عبارة : **﴿ ولكنْ لاتَشْعُرون ﴾** التى خَتَمَ بها الآية الكريمة، فالْحسُّ الإنسانى والشعور الآدمى أقْصَرَ وأقَلّ وأضْعف ... من أنْ يُدْرك تَلْك الحقيقة .

* * *

الحقيقةً .. التى تَخَطَّتْ بـ « الشهيد » فى سبيل الله بَرْزَخيَّةِ الحياة الآخرة ، إلى الخلُود والبقاء ، كما اجتازت به كُلّ اللَّبْث ... والصَراط ... والبعْث ... إلى دَيمُومَةِ النّعيم والرّضى الأبَدىّ »

إنَّهُم – [الشهداء فى سبيل الله] – قد آختلَفَتْ انتقالَتُهُم من

الدُّنيا إلى الآخرة ، ومن الْوَهْم إلى الحقيقة ... عن بقيَّة النّاس

النّاسُ يموتُون ، فتفارق أرْواحُهم أجسادَهُم ، ثُمَ يُدْرَجُون فى قبورهم ، فَتَتَحَلَّلُ أجسادهم إلى تُرابيَّتها وعناصرِها الأولى ، ثم يكونُون بيْن صالح وطالح ، أما الصالِحُون فإنَّهُم فى قُبورهم وكأنهم فى روْضةٍ من رياض الجنّة ، وأما الطالحُونَ من المشركين والكافرين ... ومَنْ لَفَّ لَفَّهُم ونَسَجَ على منْوالهم ، فإنهم في رمُوسِهِم فى حُفْرةٍ من حُفَرِ النّار .. ،

إلى نَفْخة الصُّور ...

فإذا هُمْ جميعاً من الأجْداث إلى رَبِّهم ينسِلُون ،

ثم يَقفُوا بَيْن يَدَىْ ربهم مسئولين ، فَأَما منّ أُوتى كتابَهُ بيمينِهِ فسوف يحاسَبُ حساباً يسيرا ، وأمّا من أُوتى كتابه بشمالِهِ فسَوْف يحاسَبُ حساباً عسيرا ...

إلّا الشـــهيد ... ،

فإنّه يَحْمِلُ صَكَّ المبايعة ، أَوْ يَحْمِلُهُ صَكُّ المبايعة ... على جناحَيْه ، كَأَنَّه طائِرٌ يرفُّ ويَصْدَح ، ويزقْزِق ... ، فعلينا صِدْق الْعَهْد ووفاء الْوَعْد ، فَتَتَفَتَّحُ له الأَبْواب .

كلّ قطرة دمٍ تَشْهدُ لهُ ، ثم تأتى على ما سَلَفَ وانْقَضى من صوُر

حياتِهِ فَتطْمِسها وتَمْحوها ، ويعلو عَلَيْها ، اللَّوْنُ الأحمر القانى يَغُطِّى بَلْ يطفىء كل شىْء ...

اللَّوْنُ لوْن الدَّم والرِّيحُ ريحُ المسْك .. !

* * *

يقول الله تعالى :

﴿ إنّ الله اشْترى من المؤمنين أنْفُسهم وأمْوالهم بِأنَّ لهُم الجنّة ... يُقاتِلُون فى سبيل الله ... فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُون ... وَعْداً عَلَيْه حقّاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أَوْفى بِعَهْدِهِ من الله ؟؟؟ فَاسْتَبْشِروا بِبَيْعكُم الذى بايَعْتُمْ به ﴾[1] .

نَعَمْ ... ومن أوْفى بَعْهدِه من الله ؟!!!

لقد وفّيْتَ أيُّها الشَّهيد بِعَهْدِك وَوَعْدِك ، وقَضيّتَ ماعَلَيْك ، وصَدَقْتَ ربَّك وخالِقَك ، وأَنْجَزْت الصَّفْقة ... ، فَنِلْتَ بُشْرى التَّمامِ والكمال ؛ مِمَّن ؟؟

من رَبِّ الوفــاء ...

من الله تعالى ؛ .. من مالِكِ الْمُلْك ، من واضع النّاموس ، من الْعَدْل ... اللطيف ... الخبير .

من الْعَدْل الذى أقام السماوات والأرض ومن عليها من أحياء وما عليها من جماداتٍ ... بالْحَقّ والقسطاس المستقيم .

من اللطيف الذى شَمَلَتْ رَحْمَتُهُ ، وعمَّ لُطْفُهُ أدَق وألْطَف ذَرَّةٍ من كوْنِهِ . من الخبير ، العليم الذى ركّب فى الموجودات طبائعها وغرائزها وقوانينها ، وأحاط بأوّلها وآخرها .

سُبْحان الله !!!

بــل أحْيـــاء .. !!

والموْت حَتْمِيَّةٌ انتقالية تعمُّ جميع الأحياء من دُونِ آستثناء ، كما أنَّ الهلاك والفناء يلحق جميع الموْجُودات فى عمليَّةٍ تدبيريَّةٍ موازيةٍ لموْت الأحياء ،

يقول تعالى :

﴿ كُلُّ نفسٍ ذائقَةُ الموْت ﴾

ويقول سبحانه :

﴿ كُلُّ شىْء هالِكٌ إلاّ وَجْهَهَ ﴾

ويقول جَلَّ من قائل :

﴿ كُلُّ مَنْ عليها فانٍ ﴾ ..

إلى يَوْم القيامة ... ، إلى يوْمِ الحساب والجزاء .

هذه الرَّقْدَة ، من الموْتِ إلى البعْث ... لا يعلمها إلا الله تعالى ، وهى لَيْسَتْ ذات بُعْدٍ زَمَنى يَطُولُ ويَقْصُر من حَيْث المتعلِّق ، وهُوَ الفرْد أو الكائن .

وهذه الرَّقْدَة لايعانيها ولا يعايشها الشهّيد ، مْهما كان لَوْنها بل هُوَ حىٌّ حياتَهُ الْأَبَديَّه خالدة ، وانتقالِتُهُ من الدنيا إلى الآخرة تَخَتلِفُ منْ حيّثُ الجزاء عن غَيّرِهِ من الناس ، اللهُمَّ إلاّ الصُوَرَة الحْتميَّة الأولى ، وهى مفارقة الرُّوح للجِسَد ، لأَنها القانون العام ، والنامُوس الشامل .

حتى الحكُم اللفظىَّ الذى يُنْطق به الْأَحياء على من يُفارق الدُّنيا وهُوَ قولنا : قد ماتَ فُلان ... يُنبِّهنا الله تعالى إلَيْه فى حقّ الشهيد ، فيقُول :

﴿ ولا تقولُوا لِمَنْ يُقْتل فى سبيل الله أموات ... بل أَحْياء ... ولكن لا تَشعُرون ﴾

فلا يصحَ الْقَوْلُ عْنُهم أنَهُم أموات ... بل شهُداء !!!

شهدوا لِرَبِّهم ، بكُلِّ ما هُوَ أَهْلُه – سُبْحانه –

وشهدوا لأنفُسِهم ... الصَّدْق مع الله جلَّ جلالُه

ولايَشْهَدُ إلاَّ « الحيّ » الذى يَنْبِضُ قَلْبُهُ ... ﴿ولكن لا تشعرون ...﴾ يَنْبض قَلْبهُ نَبَضات ... الله أَعْلَمُ بها .. ، نبضات الأَبديَّة والخُلُود ، وهى بمقايسها الربّانيَّة تَخْتلف – ولاشكَّ – عن نبضّاتِ الفانية الزائلة ؛ ومن هُنا كان عَدَمُ الشُّعُور .. **﴿ولكن لا تَشْعُرُون ...﴾** .

الْوِســــامُ الثــانى :

﴿ عِنْدَ رَبِّهِــمِ .. ﴾

تختلف مقاييس الضيافة فى الحياة الدُنّيا من حَيْثُ النُّزُل والإكرام بِحَسَبِ الضَّيْف والمضيف .. ؛ والزيارة !!! غايَةٌ وهَدَفاً و ... مَقْصِداً .

وهذه المقاييس فى التعامُل البشرىّ صُوَرةٌ تقريبيَّة نَتّخذها منطلقاً للحديث عن نُزُل الشُهداء ...

أما المُضيِّف هناك فهُوَ الله تعالى ... !!

وأما الضيْف فهو الشهيد ...

وأما الزيارة فليْست مروراً عابراً تتبايَنُ من حَيْثُ المدّة الزمنيَةُ ، ثم تَنْتهى بانْقضَاءِ الغرض ،

ولايُمكن لِعقلٍ بشرىّ خاضعٍ فى أُصُولِهِ وتصوُّراتِهِ وأحكامِهِ ، المرتبطة ببدايةٍ ونهايةٍ ، أنْ يتصوّرها أو يُحيط بها ... أوْ يَفْهمها ، إنّها أعلى من مُستَواه ، وليست ذات حدّ ...

* * *

ولقد قرَّب الله تعالى صُورَة تِلْك الضيافة للعقْل البشرى من خلال العُروض والمشاهِد القُرآنية عن النّعيم المقيم ، والتى حفلت بها الآيات إيجازاً أحياناً ، وتفصيلاً وبياناً أحْياناً أُخرى .

ثم إن رسُول الله ﷺ قد عَبَّر عنها بقوْلِهِ الشريف :

[فى الجنّة مالاعَيْنٌ رَأَت ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ .. ولا خطَر على قلْب بَشَر]

فإن أقْصى ما يعيشه إنسانٌ فى الحياة الدُّنيا من نعيم يَضْؤُل ... ولا يُقاسُ بما عِنْد الله تعالى ، وما أعَدَّهُ لعبادِه المتّقين من رَغَدٍ ورفاهيةٍ ، من غيرْ انقطاع ولازوال ، وهذا هُو التّمام .

* * *

والضَّيْف هناك هُوَ الشهيد ...

يَقُولُ الله تعالى :

﴿ إنَّ الذين قالُوا ربُّنا الله ثُمْ استقامُوا تَتَنزَّلُ عَلَيْهم الملائكة ألا تخافُوا ولا تحزنُوا وأبْشِرِوا بالجنَّة التى كُنتُم توعدون !!! نَحْنُ!!! أوْلياؤكُم فى الحياةِ الدُّنْيا !!! وفى الآخرة !!! ولكُم فيها ما تَشْتهى أَنفسكم !!! ولكم فيها ما تَدَّعُون !!! نُزُلاً !!! من غفورٍ !!! رحيم !!! ﴾

﴿ نزُلاً من غفورٍ رحيم ... ﴾

نُزُلاً مُخْتَلِفَةَ الدَّرجات والمقامات ...

ودَرجَةُ الشَّهيد فى سبيل الله فى المرتبة الثالثة دُنُواً من كمالِ الرضْوان ، وقُرْباً من الله تعالى ، بعد النَّبِيّين والصَدّيقين ... وحَسُنَ أولئك رفيقا .

الوســـامُ الثالـث :

﴿ يُــرْزقُون ... ﴾

الرِّزْق هُوَ قوام الإنسان ومادَّة الحياة ... فى الْبَدَنِ والْحِسّ ، وفى كُلّ شَوْق روُحىّ وتفَاعُل عقلىّ ...

ومن ثَمَّ تتأطَّرُ حياة الإنسان فى الحياة الدُّنيا وفْقِ مقاديرِهِ وأنْواعِهِ ، وتَخضَعُ كُلّ الخضُوع لعناصِرِهِ ،

وهُوَ مَطَلوبٌ بالْكَدْح والجهْد والسَّعْى ، فى كَبَدٍ ومشَقَة ، ولَيْس يُدْرِكَ الإنسان كُلّ ما تَشْتهيه ، ولا يُحقِّق كُلّ أَمانيه ، بل قد تَنْقضى الحياة كلها ولا يُبْلغ المْرء جُزْئيَّة بسيطةً مِما يتمنْاهُ أو يَشتهيه من الرزْق .

﴿ وما الرِّزْق إلاّ مِنْ عند الله ... ﴾

﴿ وهُوَ خَيْر الرازقين ... ﴾

وهو الذى ﴿ يَبْسُط الرّزق لمن يشاء ... ﴾

وهو : ﴿ الذى يَرزُقُ من يَشاءُ بِغَيْر حسابٍ ... ﴾

﴿ ومَنْ يَتّقِ اللهَ يَجْعل له مخْرجاً ويرزقْه من حَيْثُ لا يَحْتَسِب ... ﴾

فإذا ما تأكّدت هذه الحقائق ، وثبتَتْ فى الذّهْن وفى النّفْس من الداخل ، وكذلك التعاطى من الخارج ، كان قوْله تعالى :

﴿ ومن يتوَكّل على الله فهو حَسْبُهُ ... ﴾

هُوَ القاعِدُةُ الْأُمُّ لها جميعاً ، ويكون سَعْيُ الإنسان على الرِّزْق مُرْتبطاً بالتوكُّل عليه سُبْحانه ، فهُوَ حَسْبُهُ وكافِيهِ ... ، وهذا من مقتضيات الإيمان .

وهذا الّرزق فى الحياة الدُّنيا إنّما يتنَزّل بِقَدَر معلوم ، وفْق الضرورات والمُقْتضيات ...

أما فى الآخرة ... فى الجنّة ... فى نعيمها المقيم .. فَهُو كما عَّبرَّ عَنْه سُبْحانه :

﴿ ولكُم فيها ما تَشْتهى أَنْفُسُكم ... ﴾

رِزْق مَفْتُوح ، وعطاءٌ غَيْر مَمنُون .. ، وتدفُّق من غَيْر انقطاعٍ ولا انْحباس ، ولا يخضَعُ للضرورة والاقتضاء ، بل للاشْتهاء ... والتمنى ...

وهُنا التمايُز والتَّغايُر .. !

إنّهُ مَوْصُولٌ بغير انتظار ...

وحاضرٌ من غيرّ سَعْى ...

وسَهْل ... هيّنٌ ليّنٌ من غَيرْ شقاءٍ .. واجتهاد ...

وكثيرٌ ... كثير ... من غيرْ حدٌ ولا كميْة ، ولا حيلَةَ له البتَّة بالضرورة ، لِأَنَّهُ لا ضرورة .. !

* * *

ومن أوْلى من الشّهيد بهذا الرِّزْق ... من عباد الله الصالحين ، المتَقين العاملين ؛ ذلك الذى باعَ نَفْسه ابْتغاء مَرْضاةِ الله ، وشرى الحياة الدنيا بالآخرة ، وآثر الباق على الفانى ، والخالد على الزّائل .

* * *

الوسـامُ الرابـع :
﴿ فَـرحين بما آتاهُم اللهُ مِنْ فَضْـلِهِ .. ﴾

... ويَأْتى دَوْر الوسام الّرابع لا ليُعلَّق رمْزاً على صَدْر الشهيد من غَيرُ مضمونٍ ولا فاعلية ، بل ليُغْرَس كلمةً طيّبة كشجرةٍ طيبة ، أصلها ثابتٌ فى أَرْض الجنات وفَرْعها فى أَعْلى عِلِّيِّين ، تُؤْتى أُكُلها بإِذْن ربِّها فى كلِّ حين .

وأُكُلُها ... ثمارُها الشَّهِيَّة الطيبة ...

وهذه الثّمار هى :

الفرْحة ... بما آتاهُم الله من فَضْله ...

إنّها نَفْس الوسام .

والْفَرْحَةُ بالنِّسبَةِ إلى الإنسان هى أَقّصى وأَسْمى حالات الرضى النَّفسى عِنْده ...

وما بالك عزيزى القارىء إذا كانَتْ هذه الْفَرْحةُ بَيْن يدى الله

تعالى ، وفى جَنَّتِهِ ، وفى رحاب رضْوانِهِ ...

فَرْحة غامِرَة لاتَدَعُ جانباً من جوانب النفس إلاّ وتُغَطيها ، ولا جُزَئِيَّةً من جُزْئيات الكيان إلاّ وتَغْمره ، فلا يَتَسَرَّب إلى الذاتِ والْبَدْن نسْمة حُزْنٍ وأسى ، ...

إذا مارُزِق الإنسانُ برزْقٍ من الدُّنيا ... مالاً أوْ متاعاً ... أو عطاءً ... سواء كان حقاً من حقوقه ، أوْهبَةً ... أوْ هديَّةً ، فَرح بها ، وكانَتْ قِمَّة سعادتِهِ ورضاه ...

هذا النَّوال هو كُلّ أَرَبه من الدنيا وغاية مُناه .

وكُلّ إنسانٍ على هذا النّمط ، لايختلف واحد عن الآخر .

وما بالُك إذا كانت هذه الفرْحةِ بسبب عطاءٍ من الله تعالى ، وفى الآخرة .. ، حيْث الرزْق - كما قدَّمنا - من غَيْر حدٍّ محدود ... ، لا فى النوع ولا فى الْكَمّ .

وهذا العطاء ... من فَضْل الله ... ﴿ **فرحين بما آتاهُم الله من فَضْلِهِ** ﴾ ؛ قليلٌ من كثيرٍ عنده ، لايُنْفَدُ ولا يَنْتهى ...

﴿ **ماعِنْدكم يَنفَد وما عِند الله باقٍ ...** ﴾

وأرانى - عزيزى القارىء - أَفْهَمُ البقاء وعَدَم النّفاد مَعْنىً آخر ، غَيْر المتبادر إلى الذِّهْن ...

إن رزق الدُّنْيا ، من قُوتٍ ومالٍ وغير ذلك ، مهما كان كثيرا وفيراً ، يأْتى عليه زمانٌ فإذا هُوَ قد انتهى وآلَ إلى الزّوال ..

أما رزْق الآخرة فما لهُ من نَفاد .

وهذا مفهومٌ قريبٌ يتداعى إلى الذِّهْن العادىّ البسيط ، فى مفهومه ومأْلُوفه ... ،

أما المفهوم الذى نراهُ يتخايَلُ لنا ، ويلُوحُ فى أُفُق تفكيرنا ، ويُضىء فى أعماق عَقْلِنا وحِسِّنا ، فَهُو الْأَثَرُ الّذى يُخَلّفُهُ العطاء ، والطابع الذى يَتْركُهُ فى الذات ... ، إنَّهُ لا يَتْرُكُ أَثَراً عكسيّاً وسَلْبيّاً ... بل أثراً ايجابيّاً على الدّوام ...

ولتقريب هذا المفهوم نُعْطى المثل التالى :

إذا ماشَعَرْنا بالْجوعِ أَكَلْنا ، وزال كُلّ أَثَرٍ عُضْوى ونَفْسىٍّ عَنّا ، ثُمّ نُعاوِدُ الْكَرَّة ... ، جُوع وشَبَع ... ثم جوع وشَبَع ... وهكذا .

أما أَثَرُ العطاء الأخروىّ ، فلا إحْساس مَعَهُ بالْحِرْمانِ ، والنُقْصان ، أَبَداً ..؛

وهذا هُوَ الأثر الإيجابى ، الدائم المْستَمِرّ ، وهذا أَحَدُ جوانب مَفْهوم قَوْل الله تعالى : ﴿ **مالَهُ مِنْ نَفَاد** ... ﴾

ولقد قيل بأن الْفَضْل هُوَ الزيادة

﴿ ويزيدهُم من فَضْله ... ﴾

سُبْحان اللّه!!! زيادة على زيادةٍ على زيادة ..!!

فَلَيْس بعد هذه التجارة مع اللّه تعالى أَرْبَح ولا أزكى ولا أَطْيب ، ولاأَدْوم ، وليْس بعد نُكْرانها إلا الْخُسْران المبِين .

* * *

الوسـامُ الخامس :
﴿ ويَسْتبْشِرون بالّذين لم يلْحَقُوا بِهِم من خَلْفِهِم .. ﴾

وقبْل أَ نَستَرْسل فى الحديثِ عن أوْسمة الشهيد الْعَشْر ، خصوصاً قَبْلَ الخوْض فى الكلام عن الوسام الخامس ، نريد أَنْ نَرْتَدَّ على أعقابنا قليلاً إلى الوراء ... إلى الوسام الأوّل ، إلى حياة الشهيد ، التى هى مدار الحديث عن الأوْسمة الثلاثة التى أعْقَبَتْهُ ، فنقوُل فيها ، زيادة على ماحَدَّ

[(١)مِمّا لاريْبُ فيه لدى المؤمنين كافّة أن الأرْواح لا تفنى ، وأنها بعد الموْت تنتقل إلى بارئها ، وتَبْقى أرواح الشهداء حيَّةً سواء بسواء ، فَهَلْ معنى هذا ، أو مآل هذه الحيْرة ، أن تنْتهى إلى الحكْم بأَنّ الشهداء ... والأمْوات .. يَستوون عِنْدَ ربِّهم فى نَوْع الحياة ؟

ولوْ كان الأمْرَ كذلك فما هى الثمرة مِمّا أخبرنا عنه الله تعالى عن

---

(١) الشهيد فى الإسلام (الشيخ حسن خالد) مفتى الجمهورية اللبنانية .

شهداء المعركة بأنهم أحياءٌ عند رَبِّهم يَسْتَقْبِلُون رزْقه الذى يسوقُهُ لهُمْ من فَضّله ، ويُتابِعُون واقع إخْوانهم المؤمنين المجاهدين باستبْشار ؟

قال « الفخْر الرازى » تعليقاً على هذه الآية :

— اعْلمْ أن ظاهر الآية يدلّ على لَوْن هؤلاء المقْتولين أحياء ، فإمّا أن يكون المراد منه حقيقةً أو مجازاً .

فإن كان المراد منه هُوَ حقيقة ، فإمّا أن يكون المرادُ أنّهُم سيصيرون فى الآخرة أحياء ، أو المراد أنهم أحياء فى حال .

وبتقدير أن يكون هذا هُوَ المراد ، فإمّا أن يكون المراد إثبات الحياة الروحانية أو إثبات الحياة الجسمانية .

إن تفسير الآية بأنهم سيصيرون فى الآخرة أحياء ، قد ذَهَب إليْه جماعة من مُتَكلّمى « المعْتزلة » منهم « أبوالقاسم الكعْبىّ » ، قال :

وذلك لأن المنافقين الذين حكى الله عنهم ما حكى ، كانوا يقولون لأصحاب « محمد » ﷺ :

يعرِّضُون أنفسهم لِلقَتْلِ ، فيُقتلون ويخسرون الحياة ، ولا يَصلُون إلى خَيْر .

وإنّما كانُوا يقولُون ذلك لجحْدِهم البَعْث والمعاد ، فكذّبَهمُ الله تعالى ، وبيَّن بهذه الآية أنَّهمُ يُبْعَثُون ليُرْزقُون ، وتصل إليهم أنْواع الْفَرَج والسرور والاسْتبشار .

واعْلم أن هذا القَوْل عِنْدنا باطل ، ويدُلّ عليه وجوه :

الحُجّة الأولى :

أنّ قَوْله : ﴿ بَلْ أحْياء ... ﴾ ظاهِرُهُ يدل على كوْنهم أحياء حال نُزول هذه الآية ، مُحَمْلُهُ على أنهم سَيصيرون أحياء بعد ذلك ، عُدُولٌ عن الظاهر .

الحُجَّةُ الثانيـة :

إنّه لاشَكّ أن جانب الرحمة والفَضل والإحسْان أرْجَحُ من جانبِ العذابِ والعَقُوبة .

ثم إنّه تعالى ذكر فى أهْل العذاب أنّه أحياهم قبْل يوم القيامة لأجْل التعذيب فإنَّهُ تعالى قال :

﴿ مِمّا خطيئاتِهِم أُغرِقُوا فأُدْخِلُوا نارا ﴾[1]

والفاء لِلتَّعْقيب ، والتعْذيبُ مشروط بالحياة .

وأيْضاً ، قال :

﴿ النارُ يُعْرَضُونَ علَيْها غَدُوّاً وعَشِيّاً ﴾[2]

وإذا جَعَلَ الله أهْل العذاب أحْياء قبل قيام القيامة لأجْل التعذيب ،

---

(١) سورة نوح : الآية – ٢٤ .
(٢) سورة غافر : الآية – ٤٥ .

فَلَأن يَجْعل أهل الثواب أحياء قبل يَوْم القيامة لأَجْل الاحْسان كان ذلك أوْلى .

الحجة الثالثة :

أنّه لوْ أراد أَنَّه سَيْجعلهم أحياءَ عند الْبَعْث فى الجنّة لما قال للرُّسُول « عليه الصلاة والسلام » : ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ ... ﴾ ، مع عِلّمه بأنّ جميع المؤمنين كذلك .

أما إذا حملْناهُ على ثواب الْقَبْر ، حَسُنَ قوْلُه : ﴿ ولا تَحْسبَنَّ .. ﴾ لأنّه « عليه الصلاة والسلام » لعلّه ما كان يَعْلم أنّه تعالى يشرِّف المطيعين والمخلصين بهذا التشريف ، وهُوَ أنَّه يُحْييهم قبْل قيام القيامة لأَجْل إيصال الثواب إليْهم .

فإنْ قيل إنه « عليه الصلاة والسَّلام » وإن كان عالماً بأَنَّهم سيصيرون أحياء عِنْد رَبِّهم عند الْبَعْث ولكنه غَيْر عالم أنهم من أهْل الجنّة ، فجاز أَنْ يُبْشرَّه الله بأنِهم سيصيرون أَحْياء ، ويَصِلُونَ إلى الثواب والسرور ، قُلْنا : قوْله : ﴿ ولا تَحسَبَنَّ .. ﴾ إنّما يتنَاوَلُ الموْت لأنّه قال : ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُوا فى سبيل الله أموْاتاً .. ﴾ فالّذِى يُزيل هذا الْحُسْبان هو كوْنهم أحياء فى حال .. ، لِأَنّه لا حُسْبان هناك فى صَيْرورتهم أحياء يَوْم القيامة .

الحُجَّةُ الرابعة :

قوله تعالى : ﴿ **ويَسْتَبْشرون بالّذين لم يلْحَقُوا بهم من خلْفِهِم ..** ﴾ ، والقوْم الذين لم يَلْحَقُوا بهم لابُدَّ وانْ يكونوا فى الدُّنيا ، فاسْتبْشارهم بمن يكونُ فى الدُّنْيا لابُدّ وأنْ يكُونَ قَبْل قيام الساعة ... ، والاسَتبْشار لا بُدُّ وأن يكون مع الحياة ، فدَلَّ هذا على كوْنهم أحياء قَبْل يَوْم القيامة .

الحُجَّة الخامسة :

ما رُوى عن « ابن عباس » — رضى الله عنه — إن النبىَّ ﷺ قال فى صِفَةِ الشُّهدَاء :

[**إن أرْواحَهُم فى أجْوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، وأنَّها تَرِدُ أنْهار الجنّة ، وتأكُلُ من ثمارها ، وتسْرحُ حَيْثُ شاءَتْ ، وتأْوى إلى قناديل من ذهَبٍ تَحْتَ الْعَرش ، فلمّا رأوا طيب مَسْكنهم ومَطْعَمِهِم وَمَشْرَبِهِم قالُوا : ياليْت قوْمنا يَعْلَمُونَ ما نَحْنُ فيه من النّعيم ، وما صَنَعَ الله تعالى بنا ، كيّ يَرْغَبُوا فى الجهاد ؛ فقال الله تعالى : أنا مُخبرٌ عَنْكُم ومبلّغ إخْوانكُم ، ففَرِحُوا بذلك واستَبْشروا ،**]

فَأَنْزَل الله تعالى هذه الآية :

وسُئِل « ابن مَسعُودٍ » — رضى الله عنه — عن هذه الآية ، فقال :

[سَألْنا عنها فقيل لنا : إن الشهداء على نَهْرٍ بباب الجنّة فى قُبّةٍ خَضْراء] وفى روايةٍ : [فى رَوْضةٍ خَضْراء]

وعن « جابر بن عبدالله » – رضى الله عنه – قال : قال رسُولُ الله ﷺ :

[ألا أُبَشّرك أنّ أباك حَيْثُ أُصيب بِأُحُدٍ أحْياهُ الله ، ثم قال : ما تُريد يا « عَبْد الله بن عمرو » أفْعَلُ بكَ ؟ فقال : يارَبُّ أُحِبُّ أن تَرُدَّنى إلى الدُّنيا فَأُقْتَلُ فيك مَرَّةً أُخرى ...]

والروايات فى هذا الباب كأنها بلغت حدّ التّواتُر ، فكيْفَ يُمْكِنُ إنكارُها ؟؟

* * *

ويقول العلامة الشيخ « محمد رشيد رضا » – رحمه الله – :

(ثم لابُدّ أن تكون هذه الحياة[1] حياةً خاصة غير التى يعتقدها جميع المِلّيين فى جميع المَوْتى من بقاء أرواحهم بعد مفارقة أشْباحهم ، ولذلك ذهب بعض الناس إلى أن حياة الشهداء تتعلّق بهذه الأجساد وإنْ فَنِيَتْ أو احترقت أو أكلتْها السّباع والحيتان .

---

(١) حياة الشهداء .

وقالوا إنها حياة لا نعرفها ، ونحن نقول مثلهم إننا لا نعرفها ، ونزيد أننا لا نثبت ما لا نعرف .

وقال بعضهم إنها حياة يجعل الله بها الروح فى جسم آخر يتمتع به ويُرزق ، ورووا فى هذا روايات منها الحديث الذى أشار إليه المفسر « الجلال » وهُوَ أن أرواح الشهداء عند الله فى حواصل طيورٍ خُضْر تَسْرَحُ فى الجنّة .

وقيل إنها حياة الذِّكْر الحسن والثناء بعد المْوت ، وقيل إن المراد بالمْوت والحياة : الضلال والهُدى . رُوى هذا عن « الْأَصَمّ » ، أى : لاتقولُوا إن باذل روُحه فى سبيل الله ضالٌ بل هو مُهْتَدٍ ؛ وقيل إنها حياة روحانيْة مَحْضة ، وقيل إن المراد أنهم سَيَحْيَوْن فى الآخرة وإن المْوت ليس عَدَماً كما يَزْعُم بعض المشركين ؛ فالآية عند هؤلاء على حدِّ : ﴿ **إن الْأَبرار لفى نعيم وإن الفُجّار لفى جحيم** ﴾ أى مصيرهم إلى ذلك .

والمعتمد عند الأستاذ الإمام[1] فى هذه الحياة أنها حياة غيبيَّة تمتاز بها أرواح الشهداء على سائر أرواح الناس ، بها يرزقون ينعمون ، ولكننا لا نَعْرِف حقيقتها ولا حقيقة الرزق الذى يكون بها

---

(١) محمد عبده .

ولا نَبْحَثُ عن ذلك لأنَهُ من عالم الغيْب الذى نؤمن بِهِ ونُفَوّض الأمر فيه إلى الله تعالى . (أ - هـ) .

ويقول « سيّد قطب » فى تفسيره « فى ظلال القرآن » :

ومع أننا نَحْن فى هذه الفانية لا نعرف نَوْع الحياة التى يحياها الشهداء إلاّ مايَبْلغنا فى وَصْفها فى الأحاديث الصِّحاح ، إلا إن هذا النّص الصادق من العليم الخبير كفيلٌ وَحْدَهُ بأن يغيّر مفاهيمنا للمْوت والحياة ومابَيْنهما من آنفصالٍ والْتئام ، وكفيل وَحْدهُ بأن يعلّمنا بأن الأمور فى حقيقتها لَيْسَتّ كما هى فى ظواهرها التى نُدْركها ، وإننا حين نُنْشيء مفاهيمنا للحقائق المطْلقة بالاستناد إلى الظواهر التى نُدرِكها لا تَنْتهى إلى إدراكٍ حقيقي لها ، وإنّه أوْلى لنا أن نَنْظر البيان فى شأنها مِمَّن يملك البيان ، سبحانه وتعالى .

فهؤلاء ناس منا ، يُقْتَلُون ، وتُفارقهم الحياة التى نعرف ظواهرها ويفارقون الحياة كما تَبْدو لنا فى ظاهرها ، ولكن لأنهم « قُتِلُوا فى سبيل الله » وتجرّدوا له من كُلّ الأغْراض والأغراض الجزئية الصغيرة، واتّصلَتْ أرواحُهُم بالله فجادوا بأرواحهم فى سبيله ... لأنهم قُتلُوا كذلك ، فإن الله سبحانه يخبرنا فى الخبر الصادق أنهم ليْسوا أمْواتاً ، ويَنهانا أن نَحْسبهم .. ، ويؤكد لنا أنهم أحياء عنده ، وأنهم يُرْزقون ...

إنّه تعْديل كامل لمفهوم الموْت متى كان فى سبيل الله ، وللمشاعر المصاحبة له فى نُفوس المجاهدين أنفسهم ، وفى النفوس التى يخلّفونها من ورائهم ، إفساحٌ لمجال الحياة ومشاعرها وصُورها بحيْث تتجاوز نطاق هذه العاجلة كما تتجاوز مظاهر الحياة الزائلة ، وحَيْث تستقر فى مجالٍ فسيح عريض لا تعترضه الحواجز التى تقوم فى أذهاننا وتصوُّراتنا عن هذه النُّقلة من صورة إلى صورة ، ومن حياةٍ إلى حياة (أ . هـ) .

ويقول الإمام « بديع الزمان النّوْرسى » - رحمه الله - :

(إن للشهداء طبقة من الحياة فوق الحياة أهل القبور بِنص القرآن ، نعم .. إن الله تعالى يُحْسن إلى الشهداء من كمال كرمِهِ فى عالم البرْزخ بحياةٍ تُشْبه الحياة الدُّنْيا ، ولكنها حياة بغيْر كَدَر ولا أَلَم ، ذلك لِأَنَهم ضحوا بحياتهم الدنيا فى سبيل الحق ، وإنهم لا يعلمون أنّهم ماتُوا ولكن يعلمون أنهم ارْتَحَلُوا إلى عالمٍ أحْسن ، فيتنعُّمون بكمال السّعادة ولا يشعرون بما فى الموْت من أَلم الفراق .. وإن أهل القبور وإن كانَت أرواحهم باقية إلاّ أنهم يعلمون أنهم ماتوا ، فلا يصل ما يذوقون من اللذة والسعادة فى عالم البرزخ إلى دَرَجة لذّة الشهداء ؛ فكما أن شَخَصيّن يَدْخُلان فى الرؤيا قَصْراً جميلاً كالجنة فيعلم أحدهما أنّه فى الرؤيا فما يستفيده من الذّوْق واللّذة ناقص جدّاً ، إذ يتفكّر قائلاً : إن استيْقظْتُ تزول هذه اللّذة ، والآخر يعلم أَنَّهُ فى الرؤ،

فيصير مُظّهِراً لسعادةٍ حقيقية بلذَّةٍ حقيقيّة كذلك فإن استفادة الأموات وتنعم الشهداء في عالم البرْزخ في الحياة البرزخيّة بيّنهما فرق كذلك .

ومن الثابت القطعي بما لاحدَّ له من وقائع وروايات أن الشهداء أحياء بهذا الوجْه من الحياة ويعلمون أنفسهم أحياء ، حتى إن سيّد الشهداء « حَمْزة » – رضى الله عنه – حمى اللاجئين إليْه وقضى أمورهم الدنيويّة بوقائع مُتكرّرة ... ، فقد تُوِّرت طبقة الحياة هذه وأُثبتت بكثيرٍ من أمثال هذه الوقائع .

* * *

نعم ... إن الموْت تبديل مكان وإطلاق روح وتسريحٌ عن الوظيفة ، وليس إعْداماً وعَدماً وفناءً ، وإن دلائل كثيرة مِثْل تمثّل أرواح الأولياء وتظاهُرها لأهل الكشف وتناسب سائر أهل القبور وإخبارهم لنا أخباراً مطابقةً للواقع ، يقظةً ومناماً ، بوقائع لا حدُّ لها تنوّر طبقة الحياة هذه وتُثْبتها . (أ . هـ)

عـزيزى القارىء :

لقد قطعْنا مواصلة الحديث عن الأَوْسمة ، بهذه النُّقول الكريمة الطيّبة عن علمائنا المتقدّمين والمتأخرين حَوْل « حياة الشهيد » بسبب أنَّ مدار ومِحْور الأوسمة السابقة الثلاث ، هى « حياة الشهيد » !!! ، الوسام الأوَّل ...

فكان من المناسِبِ – جدّاً – أنْ لاتنْتقل إلى البحث والتعليق عن بقيّة الأوْسمة قبل إرساء معنى « الحياة » ... – حياة الشهيد – على أساسٍ أقْرب مايكون إلى الذّهْن البشرىّ الإنسانى ، والله أعْلم .

* * *

ونعودُ إلى الوسام الخامس ؛

فمن الملاحظ أنّ « الْاسْتبشار » يتردَّدُ ويتكرّر مرَّتيْن ، مَرَّة فى مطلع الحديث عن الوسام الخامس ، ومرَّةً أُخرى فى الحديث عن الوسام الثامن ، مع ما يترتَّبُ على كِلَيْهما من معانٍ وصُوَرٍ .

هؤلاء الشهداء الذين أنْعَمَ الله عَلَيْهم بنعْمة الشّهادة فى سبيله ، والذين تخلَّصُوا من كُلّ رباطٍ مادى دنيوى يُشدُّهم إلى واقع المعاناة

السابقةَ ، بكُلّ معطياتها وصُوَرها ، وأَقْبَلُوا على حياةٍ جديدةٍ كل مافيها نعيم ... يترادَفُ بعضُهُ إِثْر بَعْض ، ويتلاحق دون إنفصالٍ ... لأن الزّمَن فيها معدوم ، والخلود هُوَ الحقّ ...

هؤلاء يَستَبْشِرون !!!

لذواتِهِم وللّذين لم يلْحَقُوا بِهم من خَلْفِهِم ...

لذواتِهِم حين مهروا صكَّ البيْعة لله تعالى بالدَّم الزكيِّ النقيِّ ، وصَدَقُوا ماعاهدوا الله عَلَيْه ، واسترْخَصُوا الأرواح والْأَنْفُس إزاءَ ما هو أغْلى وأغْلى ...

فإذا البُشْرى على الشفاه بسْمةً رضى ، وفى العُيُون نَظْرة اطْمئنان ، وفى القلُوب صِدْق يقين ...

وإذا الْأَرواح فى حواصل طَيْرٍ خُضْرٍ ، ريّانَةَ اللَّوْنِ ، نديَّة الصَّوْت . تَغْدو فى الجنانِ مُسبِّحةً شاكرة ، تَرْتَعُ هانئة آمنة مُطْمئنة ... ، هنا وهناك ، فى كُلّ مكانٍ ... ، ماترتفعُ عن نعيم حتى تحطّ على آخر ، مرفرفةً مَزْهُوَّة ، ثمّ تأوى ... لَيْس من كَلَلٍ ولا مَلَلٍ ولا تَعَبٌ ... إلى قناديل معلَّقة بالْعَرْش ... لتظْفَرَ بغاية الغايات ، وحَسَنَةَ الآخرة كُلّها .. ، لتظْفَرَ ببارقةٍ من نُور الْعَرْش ...

* * *

كلّ ذلك – عزيزى القارىء – فى شريط كامل وعرض مستمرّ ، ليس له مقياس زمنىّ ، بل مقياسهُ النعيم الأبدىّ ، تستحوذ عليه البُشرى وتلفُّه بالبِشر والحُبور ...

ثم ينظرون ...

فإذا هم يَستبْشرون بالّذين لم يلْحقوا بِهم من خَلْفهم ، لأنهم ينتظرون ، ﴿ ومِنْهُم من ينتظر ... ﴾

بالّذين ينتظرون الدّوْر على مسرح الحياة ...

وأىّ دَوْر ؟؟

إنه دَوْر البطولة الحقّة ، التى تتضاءَل أمامها كُلّ الْبُطَولات .. !!

بطولات الحياة الدُّنيا !!؟؟

تلْك البُطولات التى يُقال – وهْماً وخداعاً – عن أصحابها أنهم خالدون !!! وأيْن الخُلود ؟؟

هَلْ هُوَ فى التاريخ !!؟

والتاريخ كُلّه مَرْحلةٌ زمنيّة سَوف يَطْويها يوْم لامَرَدّ لهُ من الله ، يوْم القيامة الذى يقْلب كُلّ المقاييس ، والمفاهيم والقواعد والأُسُس ، ولا يَبقى إلا الميزان بالقسْط ، تُوزَنُ الأعمال والأَقْوال والتصرّفات .

﴿ فمن يَعْمل مِثْقال ذَرَّةٍ خيراً يَرَه ، ومن يَعْمل مثقال ذَرَّةٍ شرٍ يَرَه ﴾ ، ثم إلى خلُودٍ حقّ ، فى الجنّة أو فى النّار ...

فهنيئا لمن آمن وعمل صالحاً ووصل دنياه باخرتِهِ ،

وتعساً لَمَنْ كَفَروا جَحَد وتنكّب عن الصراط المستقيم ... واستقرَّ فى الجحيم .

* * *

﴿ يَسْتَبْشرون بالّذين لم يلحقُوا بهم من خلفهم ... ﴾

يَرَوْنَهُم من الآخرة ... بالبَصَر وبالبصيرة ...

يتحفّزون وَيتَهيّأون ويَستَعِدُّون ؛ ثم يَقتَرِبُون من مصافّ الّذين سَيُمنَحُون الأوْسمة الْعَشْرة ، ويتبوّءون مركز الصّدارة .

وهؤلاء ... على صنفين :

صِنْف تخطّى حاجِزَ الخوف والتردُّد ، والحُزْن على ما هُوَ فيه من ماديّةٍ دنيويّةٍ ملموسة ، يكادُ يُفارقها ... ، فكسر هذا الوهم فى قَفْزَةٍ واحدة ،

وصِنْف راجعته نَفسه ، ووسْوسَتْ له .. ، فتردَّدَ قليلاً لكنه فى النّهاية تَغَلّب عليها ... حين تمَثَّلَتْ له رائحة الجنّة ، وخالَطَ طيبُها وعَبَقُها ... أَنْفَهُ ... وقَلْبَهُ ... وروحه .

الأوَّل مثل « النَّضْر » – رضى الله عنه – حين قال يَوْم « أُحُدٍ » :
[وَرَبِّ « النَّضْر » أنى لَأَجِدُ ريحها من دُونِ أُحُد] .

والثانى مثل « ابن رُواحة » – رضى الله عنه – يَوْم « مُؤْتة » ، كما حدَّثنا بذلك الصادق الأمين « صَلوتُ وسلامُهُ عَلَيْه » . لقد أنبأنا « عليه الصلاة والسّلام » بإقْبال « زَيْد » و« جَعْفر »، وتردد « عبدالله بن رُواحة » .

الوسـامُ السـادس :

﴿ ألاّ خـوفٌ عَلَيْهِـم ... ﴾

والخوف حالةٌ نفسيّة قاهرة ... ضاغطة .. ، تُرْبِكُ صاحبها وتَقْهرهُ ، وتستشرى فى كيانِهِ كُلّه ، النَّفْسى والبدنى ...

قد يكونُ مَنْشأ الخوْف من معلوم ظاهر ، يوشِكُ أَنْ يَسْلُبه كُلّ شئْء ، وإن أغلى ما عند الإنسان نَفْسه ...

وقد يكونُ من مَجْهولٍ خَفِىّ ، وهنا يكون الترَدُّد عن الإقْدام !!!

وهذا مَبْعَثُه وسْوسَةُ الشّيطان ، يُغْرى النَّفْس الإنسانية بالتكذيب والعصيان ، ويحُاول أن يُزَعْزِع فى أعماقها أرْكان الإيمان .

ثم تَطْرأ على النَّفس حالةٌ من الْغَشْيَةِ والْغثيان ، وتتراءى لها الأوهام والأحْلام ، كأنها الحقائق ، تشدّها إلى الماديَّة الملّموسة ، فتأبى المفارقة ... وتَنْسى كُلّ ما وَعَدَ بِهِ الدَّيّان ، من رَوْحٍ وَرَيْحان ... ولذّة عَيْشٍ فى الجنان .

* * *

أما الّذين سَبَقَتْ لهم الْحُسّنى ... فقَهروا الشّيْطان ، وهزموهُ فى ذواتِهِم ، فإنّهُم بعد أن نالُوا أوْسمة الحياةِ ... والْمقامةَ ... والرّزْق ... والْفَرْحة بِفَضْل الله وعطائه الكريم ...

فهؤلاء قد واصَلُوا اطمئنان الدّنْيا بالآخرة من غيْر لحظة تردُّدٍ تخدعهم ، أو هُنَيْهَة شيطْان وَسْوس لهم فَتَحْجزهم وتُعَرْقل مسيرتهم الربانيَّة على دَرْبِ الشهادَة والصّدْق ...

لقد كفّ « شُهودُهُم » دُنْياهم ، وَلحظة الفراق ، وآخرتهم ... ، فَرَفَعُوا أصْواتهم بالنّداء :

ألّا خوْف عَلَيْكم يا مَعْشَر أبْناء الحياة الدُّنيا من لحظة الفراق ... ، مِنَ الصّدْق مع الله تعالى ، من الشهادة فى سبيل الله ... ، فما عِنْد الله خَيْر ... وأبْقى .

إنّ نعيم الدُّنيا قليلٌ زهيد ، محدود القيمة والْأثَر ، وما عند الله خيْر ، وهو أكثر وأطْيب .

وأيضاً فإن نعيم الدُّنيا لحظات تمتُّعٍ ثم تَزول ، تُصْبحُ ذكرياتٍ ، تَحْكُمها دوْرة الزمن ، وتعاقب اللّيْل والنهار ... ، لكن ما عند الله أبْقى ... وأدْوم ...

– يا إخْوتنا وأحِبّاءنا ... لقد عايَنّا ذلك بأنْفُسنا ...

نَحْنُ لم نَمُتْ ... إلا فى التَّصوُّر الإنسانى السطحىّ المألوف ، بل نَحْنُ أحياء ، لكن لا تَشْعرون بنا ...

نَحْنُ لسنا فى ضِيافةٍ مُنَعَّمةٍ عابرة ، بل نَحْن فى مقام كريم عند ربِّنا سبحانه .

ونَحْنُ نُرْزَقُ الرُّزْق الْحَسَن من فَضل الله ... ،

إن كُلّ نعيم الدُّنيا من عِنْد الله وهو لا يوزاى شيْئاً أمام الفضل العظيم فى الآخرة .

بُشْراكُم إيُّها الإخوة ...

بُشْراكُم بأَوْسمةٍ لَيْسَتْ رُمُوزاً بل حقائق ، تفيضُ عَلَيْنا وعليكم.

بُشْراكُم بَأوسِمَةٍ لا تُعَلَّق على الصُّدور !!! أو التوابيت !!! ، يمنحكم إيّاها القائد أو الحاكم ، أَوْ بَشَرٌ مِثْلكم !!! ، ولكنْ فُيُوضاً من النَّعيم تسريِ فى كيانِكُم كُلّه ...

ومهما ارتفعْتُم فى الحياة الدُّنيا بـ « الوسام » فإنكُم لنّ تَبْلُغُوا مَنْزِلَةً أَعدَّها لكُم الله تعالى ... مع النبيّين والصِّدِّيقين ... فى الآخرة .

* * *

هذا ماوَعَدَكم الله سُبْحانه ...

وصَدَق الله وَعْدَه .

ومَنْ أوْفى بِعَهدِه من الله !!!

﴿ فاستَبْشِروا ببيْعِكُم الذى بايَعْتمُ به ... ﴾

* * *

الوسـام السـابع :

﴿ ولا هُـمْ يَحْـزنُون ... ﴾

إن فُقْدان الشَّىْء الذى يْملُكهُ الإنسان ، أو خَيْبَة أَمَلِهِ فى أمْرٍ من الأمور مُدْعاة حُزْنِهِ وسَخَطه ،

وكلما كان هذا الشىْء عزيزاً ، أو كانَتْ خَيْبَةُ الأمْل كبيرة ، كان الحزْنُ أَعَمْ وأَوْسع وأَعْمق ...

ولكن مَنْ يْملك الذّات الإنسانية ؟ المرء نَفْسُه ... أُم الخالِق سُبْحانَه ، المُوجد ... المُحْيى المُميت ... !!!

لوْ أُدْرك الإنسان – مُطْلق إنسان – هذه الحقيقة لما آسى ، ولما حَزِن ، ولما تَردَّد خَوْفاً وجَزَعاً عن بَذْل الروح فى سبيل الله ، لإقامة كلمته وسبيله فى الْخَلْق وفى الوُجُود .

وقد تكُون عبارة « بَذْل الروح » سبَبَاً من أَسْباب المنازعة فى موضوع مِلْكيَّة الذّات ، فيظن البعْض أنّهم يَمْلِكون أَنْفُسهم حَقّاً !! ، وهذا وَهْم لا حقيقة ، لِأَنَّ المْلكيّة هنا مِلْكيَّةٌ عارضِة ، ملكيَّةٌ آنية ، ملكيّةُ المسئولية فى الضَّبْط والتَّقْويم والهداية ؛

﴿ ونَفْسٍ وما سوّاها فَألْهَمها فجورها وتَقْواها ، قد أفلَحَ من زَكّاها * وقد خابَ مَنْ دسّاها ﴾

وأيْضاً ...

فإنّنا لا نَمْلك لأنفُسنا .. لامَوْتاً ولا حياةً ... ولا نُشُورا ... !

* * *

إذاً ...

يَنَّعدم موضوعُ الْحُزْن ، وَيَزُول ... ، ويَفْقد أَسْبابه وموجباته ودواعيه ، ولعلَّنى - عزيزى القارىء - أَسْتعيد مَعَ « عبدالله بن رُواحة » - رضى الله عنه - قَوْله وهو فى معمعة المعركة ، يُخاطِبُ نَفْسه ، ويَدْرأ عنها وسْوسة الشَّيطان بإيثار الحياة الدُّنيا على الشهادة فى سبيل الله :

-[يانَفْس إلاّ تُقْتلى تَموتى ...]

فَأُدّرِكُ مَعَهُ صِحَّة المعادلة وسلامَة القضيّة .

لقد كَسَرَ - رضى الله عنه - حاجز الخوْف ، وتَخَطّى سَدَّ الْحُزْن ، وأَسْلَمَ وَجْهَهُ لله راضياً مرْضياً .

وليْس فى موضوع الشّهادة فُقْدانٌ حتى يكون هُناك حُزْن ...

﴿ ولا هُمْ يَحْزنون ﴾

﴿ فمن يَعْمل مِثْقال ذَرَّةٍ خيراً يَرَه ، ومن يَعْمل مثقال ذَرَّةٍ شر يَرَه ﴾ ، ثم إلى خلُودٍ حقّ ، فى الجنّة أو فى النّار ...

فهنيئا لمن آمن وعمل صالحاً ووصل دنياه باخرتِهِ ،

وتعْساً لَمَنْ كَفَروا جَحَد وتنكّب عن الصراط المستقيم ... واستقرّ فى الجحيم .

* * *

﴿ يَسْتَبْشرون بالّذين لم يلحقُوا بهم من خلفهم ... ﴾

يَرَوْنَهُم من الآخرة ... بالبَصَر وبالبصيرة ...

يتحفّزون وَيتَهيّأون ويَستَعِدُّون ؛ ثم يَقتَرِبُون من مصافّ الّذين سيُمنَحُون الأوْسمة الْعَشرة ، ويتبوّءون مركز الصّدارة .

وهؤلاء ... على صنفين :

صِنْف تخطّى حاجِزَ الخوف والتردُّد ، والحُزْن على ما هُوَ فيه من ماديّةٍ دنيويُّةٍ ملموسة ، يكادُ يُفارقها ... ، فكسر هذا الوهم فى قَفْزَةٍ واحدة ،

وصِنْف راجعته نَفْسه ، ووسْوسَتْ له .. ، فتردَّدَ قليلاً لكنه فى النِّهاية تَغلّب عليها ... حين تمثَّلَتْ له رائحة الجنّة ، وخالَطَ طيبُها وعَبَقُها ... أنْفَهُ ... وقَلْبَهُ ... وروحه .

الأوّل مثل « النَّضْر » – رضى الله عنه – حين قال يَوْم « أُحُدِ » :
[وَرَبِّ « النَّضْر » أني لَأَجِدُ ريحها من دُونِ أُحُد] .

والثانى مثل « ابن رُواحة » – رضى الله عنه – يَوْمِ « مُؤْتة » ، كما حدَّثنا بذلك الصادق الأمين « صَلوتُ وسلامُهُ عَلَيْه » . لقد أَنْبأنا « عليه الصلاة والسّلام » بإقْبال « زَيْد » و« جَعْفر »، وتردد « عبدالله بن رُواحة » .

الوســامُ الســادس :

﴿ ألاّ خـوْفٌ عَلَيْهِــم ... ﴾

والخوف حالةٌ نفسيّة قاهرة ... ضاغطة .. ، تُرْبِكُ صاحبها وتَقْهرهُ ، وتستشرى فى كيانِهِ كُلّه ، النّفسى والبدنى ...

قد يكونُ مَنْشأ الخوْف من معلوم ظاهر ، يوشِكُ أَنْ يَسْلُبه كُلّ شئْء ، وإن أغلى ما عند الإنسان نَفْسه ...

وقد يكونُ من مَجْهولٍ خَفِيّ ، وهنا يكون التردُّد عن الإقْدام !!!

وهذا مَبْعَثُه وسْوسَةُ الشّيطان ، يُغْرى النَّفْس الإنسانية بالتكذيب والعصيان ، ويحُاول أن يُزَعْزع فى أعماقها أُرْكان الإيمان .

ثم تَطّرأ على النَّفْس حالةٌ من الْغَشْيَةِ والْغثيان ، وتتراءى لها الأوهام والأحْلام ، كأنها الحقائق ، تشدّها إلى الماديَّة الملّموسة ، فتأبى المفارقة ... وتَنْسى كُلّ ما وَعَدَ بِهِ الدَّيّان ، من رَوْحٍ وَرَيْحان ... ولذّة عَيْشٍ فى الجنان .

* * *

أما الَّذين سَبَقَتْ لهم الْحُسْنى ... فَقَهروا الشَّيْطان ، وهزموهُ فى ذواتِهِم ، فإنَّهُم بعد أن نالُوا أُوْسمة الحياةِ ... والْمقامةَ ... والرِّزق ... والْفَرْحة بِفَضْل الله وعطائه الكريم ...

فهؤلاء قد واصَلُوا اطمئنان الدُّنْيا بالآخرة من غيْرِ لحظة تردُّدٍ تخدعهم ، أو هُنَيْهَة شيطْان وَسْوس لهم فَتَحْجزهم وتُعَرْقل مسيرتهم الربانيَّة على دَرْبِ الشهادَة والصِّدْق ...

لقد كفَّ « شُهودُهُم » دُنْياهم ، وَلحظة الفراق ، وآخرتهم ... ، فَرَفَعُوا أصْواتهم بالنِّداء :

ألَّا خوْف عَلَيْكم يا مَعْشَرَ أُبْناء الحياة - الدُّنيا من لحظة الفراق ... ، مِنَ الصِّدْق مع الله تعالى ، من الشهادة فى سبيل الله ... ، فما عِنْد الله خَيْرٌ ... وأَبْقى .

إنَّ نعيم الدُّنيا قليلٌ زهيد ، محدود القيمة والْأَثَر ، وما عند الله خيْر ، وهو أكثر وأَطْيب .

وأيضاً فإن نعيم الدُّنيا لحظات تمتُّع ثم تزول ، تُصْبِحُ ذكرياتٍ ، تَحْكُمها دَوْرة الزمن ، وتعاقب اللَّيْل والنهار ... ، لكن ما عند الله أبْقى ... وأَدْوم ...

- يا إخْوتنا وأَحِبّاءنا ... لقد عايَنّا ذلك بأَنْفُسنا ...

نَحْنُ لم نَمُتْ ... إلا فى التَّصوُّر الإنسانى السطحىّ المألوف ، بل نَحْنُ أحياء ، لكن لا تَشعْرون بنا ...

نَحْنُ لسنا فى ضِيافةٍ مُنَعَّمةٍ عابرة ، بل نَحْن فى مقام كريم عند ربْنا سبحانه .

ونَحْنُ نُرْزَقُ الرُّزْق الْحَسَن من فَضْل الله ... ،

إن كُلّ نعيم الدُّنيا من عِنْد الله وهو لا يوزاى شيْئاً أمام الفضل العظيم فى الآخرة .

بُشْراكُم إيُّها الإخوة ...

بُشْراكُم بأَوْسمةٍ لَيْسَتْ رُمُوزاً بل حقائق ، تفيضُ عَلَيْنا وعليكم.

بُشْراكُم بَأَوسِمَةٍ لا تُعَلَّق على الصُّدور !!! أو التوابيت !!! ، يمنحكم إيّاها القائد أو الحاكم ، أَوْ بَشَرٌ مِثْلكم !!! ، ولكنْ فُيُوضاً من النَّعيم تسريِ فى كيانِكُم كُلّه ...

ومهما ارتفعْتُم فى الحياة الدُّنيا بـ « الوسام » فإنكُم لنّ تَبْلُغُوا مَنْزِلَةً أَعدَّها لكُم الله تعالى ... مع النبيّين والصِّدّيقين ... فى الآخرة .

* * *

هذا ماوَعَدَكم الله سُبْحانه ...

وصَدَق الله وَعْدَه .

ومَنْ أوْفى بَعْهِدِه من الله !!!

﴿ فاستَبْشِروا ببيْعِكُم الذى بايَعْتُمُ به ... ﴾

* * *

الوســـام الســـابع :

﴿ ولا هُــمْ يَحْـزنُون ... ﴾

إن فُقْدان الشَّىْء الذى يملُكهُ الإنسان ، أو خَيْبَة أَمَلِهِ فى أَمْرٍ من الأمور مُدْعاة حُزْنِهِ وسَخَطه ،

وكلما كان هذا الشىْء عزيزاً ، أو كانَتْ خَيْبَةُ الأَمْل كبيرة ، كان الحزْنُ أَعَمْ وأَوْسع وأَعْمق ...

ولكن مَنْ يْملك الذّات الإنسانية ؟ المرء نَفْسُه ... أَم الخالِق سُبْحانَه ، المُوجد ... المُحْيى المُميت ... !!!

لوْ أَدْرك الإنسان – مُطْلق إنسان – هذه الحقيقة لما آسى ، ولما حَزِن ، ولما تَردَّد خَوْفاً وجَزَعاً عن بَذْل الروح فى سبيل الله ، لإقامة كلمته وسبيله فى الخَلْق وفى الوُجُود .

وقد تكُون عبارة « بَذْل الروح » سبَبَاً من أَسْباب المنازعة فى موضوع مِلْكيَّة الذّات ، فيظن البعْض أَنّهم يَمْلِكون أَنْفُسهم حَقّاً !! ، وهذا وَهْم لا حقيقة ، لِأَنَّ المْلكيّة هنا مِلْكيَّةٌ عارضِة ، ملكيَّةٌ آنية ، ملكيّةُ المسئولية فى الضَّبْط والتَّقْويم والهداية ؛

﴿ ونَفْسٍ وما سوّاها فَألْهَمها فجورها وتَقواها ، قد أفلَحَ من زَكّاها * وقد خابَ مَنْ دسّاها ﴾

وأيْضاً ...

فإنّنا لا نَمْلك لأنْفُسنا .. لاموْتاً ولا حياةً ... ولا نُشُورا ... !

* * *

إذاً ...

يَنعدم موضوعُ الْحُزْن ، وَيَزُول ... ، ويَفْقد أَسْبابه وموجباته رِدواعيه ، ولعلَّنى – عزيزى القارىء – أُسْتعيد مَعَ « عبدالله بن رُواحة » – رضى الله عنه – قَوْله وهو فى معمعة المعركة ، يُخاطِبُ نَفْسه ، ويَدْرأ عنها وسْوسة الشَّيطان بإيثار الحياة الدُّنيا على الشهادة فى سبيل الله :

–[يانَفْس إلاّ تُقْتلى تَمُوتى ...]

فَأَدْرِكُ مَعَهُ صِحَّة المعادلة وسلامَة القضيّة .

لقد كَسَرَ – رضى الله عنه – حاجز الخوْف ، وتَخَطّى سَدَّ الْحُزْن ، وأَسْلَمَ وَجْهَهُ لله راضياً مرْضياً .

وليْس فى موضوع الشّهادة فُقْدانٌ حتى يكون هُناك حُزْن ...

﴿ ولا هُمْ يَحْزنون ﴾

الوســامُ الثامــن :

﴿ يَسْتَبْشِرون بنِعْمَةٍ من الله ... ﴾

إن بَيْن النِّعمة والنُّعُومة جَذْريَّةٌ لغويّة واحدة ... ؛ وعليه فإن نعومةُ الْكلمة ورقّتها ...

ونعومة الإبتسامة وإشراقتها ...

ونعومة الكسْب ورفاهة العيْش ...

ونعومة الملْمس والمضْجع

ونعومة المتقلَّب والمركب

وو ... إلخ .

كُلّ ذلك فى الحياةِ الدنيا من النِّعَم التى تتنزَّل على المرءِ وَتَلُفُّهُ وتُحيط بحياتِهِ من الولادَة حتّى الموْت .

وهى كثيّرة وفيرة ، لا تَقَعُ تَحْتَ حَصْرٍ وَعَدٍّ ...

﴿ وإنّ تعُدّوا نِعْمَةَ الله لا تُحصُوها ﴾[1]

إن نِعْمَةَ الشّبَع بعد الجوع

ونِعْمَةَ الرىّ بعد الظمأ

ونعْمة الراحة بعد الشقاء ، والسّعى

ونعمة النّوم بعد الأرق والجهد

ونعْمة الكلمة الطيبة بعد اللّجاج والعناد والخصومة ...

ونعْمة الابتسامة بعد التجهُّم والعبوس

ونعمة الصّحّةُ بعد المرض

كُلُّه نُعُومة ترتدُّ على الإنسان ، لا فرْق فى ذلِكَ بيْن غَنىّ وفقير ، أو أميرٍ وحقير ، وسيِّدٍ ومَسُود ... ، ومؤمنٍ وكافر ... ،

لِأَنَّ اللذّة فى العيْش لحظات تعقب المكابدة المستمرّة ... المتّصِلة ... ﴿ لقد خلَقنا الإنسانَ فى كبَد ﴾[2] .

لحظات شُعورٍ حِسّىٍّ ووجدانى عابرة ، ثم تمتصُّها وتجذبها إلى القاع دوّامةُ الحياة ، فإذا بها ذِكْرى ... أوْ كالطّيْف .. ، تُسْتَرْجَعُ فى الخيال .

---

(١) سورة إبراهيم : الآية : ٣٤ .

(٢) سورة البلد

وإذا كان بيّن النعمة والنُّعومة – فى الحياة الدنيا – جذريّةٌ لُغوية ، تنِمُّ عن المضمون والمعنى ، فإنّها فى الآخرة « نعيم » ...

نعيم مُقيم ،

فيه المبالغة المطلقة

لِأنّهُ من عِند الله تعالى ، الْمُنعم الْمُتَفضّل ...

من أُجْل هذا كان استبْشارُهم ...

لأنهم من حين إطلالتهم على الآخرة ، على دار المقامة ... احتضَنهُم نعيمُها ، فتلقّتْهُم الملائكةُ بالبُشْرى ... بالكلمة اللطيفة الطيبة ، بالبسْمة العريضة ... بالمنزلة الكريمة ... بالنُّعومة ...

* * *

ألا تَلْحظُ معى – عزيزى القارىء – قوْل الله تعالى :

﴿ ولباسُهُم فيها حرير ... ﴾

ولّباسُ عُنْوان ورمْز ، والحرير أنْعَم اللّباس مَلْمساً ، وأرقّها وألطفها .. !

وها هُم « الشُّهداء » ... قَد استَبْدلُوا أثوابَهُم التى لَطَّختْها

الدِّماء ، وعَفَّرتْها الأَتْرِبة ، وخالَطَتْها طينةُ الأَرْض ، بأَنْعم لباس وأَرَقّه .

وكذلك شَأْنُ المتّقين المؤمنين أَيْضاً ، الذين عَزَفُوا عن رِقّة حرير الدنيا ونُعُومته إلى رقّةِ حريرة الآخرة ...

* * *

يُروى عن أمير المؤمنين « عمر بن عبدالعزيز » - رضى الله عنه - ، الذى نَشَأَ وتَرَعْرع مُتْرفاً مُرفَهاً ، إذ كان والده « عبدالعزيز » والياً على مِصْر ، يعيش فى بحبوحتها وخَيْرها عَيْش الملُوك ...

يُروى عن « عمر » أنّه كان فى مَطْلع شبابِهِ إذا أُوتى له بالثَّوْب اللّيِّن ، من الدمقْس والحرير ، وبأغلى الأثمان وأَبْهظها ، يقول عَنْه بعد أَنْ يُعاينه بالمسّ واللمْس : ماأَخْشنه !!!

ثم لمّا فقِهَ وتعلَّم ، ودَرَس وبَحَثَ ووعى .. ، وآلتْ إليْه مفاليدُ الخلافة ، وأَحسّ بمسئوليّة الولاية على النّاس ، كان يُؤتى لهُ بالثَّوْب الرخيص الْخشِن ، حَسْب طَلَبِهِ ووصيَّته ، كان يَقُول عَنْه : ماألْيَنْه !! وما أَنْعَمه !!!

* * *

عزيز القارىء :

ولا يُمكننا أبداً أَنْ نَحْصُر نعيم الآخرة بوجْةٍ مُعَيَّن وجهةٍ واحدة ، أبداً ... ، بل هُوَ عامٌ وشامل ، يهيْمن على كُلّ الذّات و ... يَغْمرها .

* * *

فى الحياة الدُنْيا ... نِعْمَة !!!

بالصيغة الفرديَّة المحدودة ...

وفى الآخرة ... نعيم !!

بالصيغة العامة المطْلقة ... والمبالغة . – أيْضاً . !

* * *

وكَأَنَّ العوْدة والتكّرار فى الآية على الاستبْشار بالنِّعْمة تأكيد ورمّزيَّة ...

تأكيد على معنى النَّعيم ، ليستقَرَّ فى الأذهان والعقول والقلُوب ، فتتوجَّهُ إليه وتتعلَّق بِهِ ، وتنْحصر فى سَبِيله ...

والرمْزيَّة أشْبَهُ ما تكُون بِواقعنا الحياتىّ المعاصِر عندما نقول : مُنحَ (فلانٌ) وسام الفارس من (الدَّرجَةِ) الأُولى ، أو الثانية ... ، مثلاً .

فَرُتْبَةُ النَّعيم لِـ الشّهيد) فى سَبيل الله لا تَعْلُوها رُتْبَة ، إلا الأنبياء والصِّدّيقُون ، وحَسُنَ أولَئك رفيقا .

الوسام التاسع

﴿ ... وَفَضْلٍ ... ﴾

والفضْل – كما قدَّمنا ، وكما هو مفهومه اللغوىّ : الزّيادة .

يُقال : ما فَضَلَ عن الحاجة ، أى ما زاد عَنْها .

تُرى ما هُوَ الْفَضْل المقصوُد هُنا ؟

لقد ذَهَبَ علماؤنا وأشياخُنا المفسّرون فى تقرير هذا المعنى وبيانِهِ مذاهِبَ شَتّى وأوّلُوهُ تأويلاتٍ كثيرة ، كُلُّها يصُبُّ فى خانةِ الزيادة .

ولكن هَلْ هُناك ، عند الشهداء فى الآخرة ، إحساسٌ بالنقْصان حتى تُقابلُهُ الزيادة .. !؟

معـــاذَ الله ...

إنَّهُ – سبْحانه – رَبُّهم ، أَحْسَنَ مَثْواهُم ، بكُلّ ما أَغدَق عَلَيْهم من الْأَوْسمة ، وَأَكْرَمهُم بها ، فَنَعِمُوا بفُيُوضاتٍ من الخيْر ، لا تَستَدْعى زيادة عطاءٍ وفَضْلٍ بالمفهوم العادىّ المألوف ...

ولكـــنّ ...

المرْتَبَة والمنزِلة هى الفضل على الحقيقة ...

مَنْزِلتُهُم ومرتبتُهُم بعد الأنبياء والصّدّيقين .

* * *

فالنُّبُوَّة صَفوَةٌ بَشَرِيَّةَ قدّرها الله تعالى فى إنْسان ، اختاره ورعاه ، وربّاهُ على عيْنه ، ثم بوَّأهُ مكانته القيادية فى الهداية ، وأعَزَّهُ بالْوحْى ...

والنبُوَّة خُلاصَةُ كيانٍ بشرىٌّ إرْتقى بالْاختيار والتربية والتوجيه إلى العْصمة عن كل هَفوةٍ أوْ سَقْطة ...

إنّه بشرىٌّ الْجَسَد ... ملائكىّ النَّفْس والروح والذّات ...

وهُنا – عزيز القارىء – تكُون المعاناة .

أيَّةُ معاناة ..!؟؟

إنَّ الملائكة مخلوقاتٌ لا يعْصُونَ الله ما أمَرَهم ويَفْعلُون مايؤْمرون ، ليست لهُم أجْسادٌ قد رُكّبَتْ فيها طاقاتٌ وشهَوات ، وميولٌ وأهواء ونَزَعات ...

من هنا كانت المعاناة ...

شِدَّةُ الصراعِ بَيْن الذّات الملائكيّة الطاهرة فى كيان الْأنبياء – صلوات الله وسلامُهُ عليهم أجمعين – وبَيّن معايشة الجسْم البشرىّ وحاجاتِهِ ومتطلباته ،

ثم غَلَبَةُ النُّبُوّة بهداية الله وتوفيقِهِ وتدبيرِه ... وتَقْديره .

إنها – ولاشك – المْرتَّبَة الأولى والْأَعْلى والأسْمى بَيّن الْبَشرَ

* * *

ويأْتى بَعْدهم الصّدِّيقون ...

أولئك الّذين ديْدنهم الصِّدْق ومَبْدؤهم ...

لايَفُوتهُم ولا يتخلّى عَنْهم فى أيّة خاطرة ...

لقد وَضَحتْ طريقهُم ومحجتهم على بيضاء نقيَّة ، ليْلها كنهارها فهم على خَطَ النَّبُوْةِ سائرون ، ومع الرُّسلُ ماضون ... واثقون ... مُطْمئنّون ... ثابتون ... عازِمُون ... صادِقُون ... صِدّيقُون .

ولهذا كانُوا فى المرْتَّبة الثانية .

* * *

أما الشُّــهداء

الذين عايَنُوا بِبَصَرهم وبصيرتهم آخِرَتهم ... وهُمْ لايزالون فى

الحياة الدُّنيا ، ثم اشتَمُّوا ريح الجنة ونعيمها فملأ أنوفَهُم ... وسرى فى كيانهم ... فأقبلُوا على الله صادقين مُصَدِّقين

أوْلئك فى المرتبة الثالثة ...

وهى فَضْلُ الله عليهم !!!

* * *

الوســامُ العاشــر :
﴿ وَأَنَّ الله لايُضيعُ أجر المحسنين ... ﴾

فى الحياة الدُّنيا ...

حتى الحقوق قد تضيع ... قد تُؤْكل ... قَدْ تُهْضم ... ، قد يتسلَّط عليها قوىّ ظالم ، أوْ مُسْتبدٌ طاغية ، فيأْتى عَلَيْها ، ويتنكّر لِأَصْحابها ... ، وبهذا يَخْتَلُّ ميزان العدْل ،

وكم من ظاهِرَةٍ دالَة على ذلك ، على مُسْتوى الأفراد وعلى مُسْتوى الشُّعوب وعلى مستوى الأمم والدُّول .

الحقُوق المكتسبة من الله تعالى ، كحقّ الآدميْة والانسانية ، والحقوق المكتسبة بالجهّد والبذْل والْعَرَق ، والدُّموع أحياناً ...

هذه الحقوق لا تضيعُ عند الله تعالى ، فهى فى مخزون الحسنات والسَّيئات ، إلى يوم يُبْعثون ، حَيْث يقوم الميزان الحقّ فى حساسيةٍ ودقة .

* * *

هذا بالنسبة إلى الحقّ المجرّد ، الذى يُقابلُه الواجب ...

فما بالك بالإحْسان !!؟؟

لقد سُئل رسُولُ الله ﷺ عن الإحْسان فقال :

[**أنْ تعبُد الله كأنَّك تراه ، فإن لم تكُن تراهُ فإنَّهُ يراك**][1]

والإحْسان فى العمل هُو الإتْقان ...

أَدؤاهُ على الوجْه المطلوب وزيادة ...

زيادَةُ الرَّوْنق والبهاء والتجميل ، أو بَذْل المزيد فوق المطْلوب ، إرْضاءً لِرَبِّ العمل ، وإرضاءً للذات فى نَفْس الوقْت ...

* * *

والشهداء منْ الْمُحسنين ...

أَحْسَنُوا الاعْتقاد ...

وأَحْسَنُوا الظَّنَّ بالله تعالى .

وَأَحْسَنُوا الْقُدوم عَلَيْه .

لقد أَحْسَنُوا الفكْر والْعَمَل ، فكان وسامُهُم العاشر ... بـ ﴿ أن الله لا يُضيعُ أجْر المحسنين ﴾ .

* * *

هلّا نَظْرت – عزيزى القارىء – إلى ما يُسمّى بـ « الحوافزْ » ... إنها لَيْسَتَ أُجْراً إضافياً : (Over-Time) ، يُعْطى لمزيدٍ من العمل والإرْهاق ، بل هى تَقْدير لِـ « الصِّدْق » و « الإخلاص » و « الاتْقان » ؛ إنها أَجْرُ المحسنين !!!

وإذا كانت الحوافز فى الحياة الدُّنْيا على هذه الصُّوَرة الهزيلة من الماديَّة المحدودة ... بنعْمة بَشَرٍ على بَشَر !!!

فما بالُكَ بنعيم الآخرة ، والله عِنْدَهُ حُسْن الثّواب !!

كلمـةٌ أخـيرة

لعلَّى عزيزى القارىء قد ألْمَحْتُ إلْماحاً إلى الأوْسمة الْعَشْر الْتى اختص الله بها الشُّهداء فى سبيلِه ، واجتباهُم على غَيْرهم من عباده ، فأكْرمهم وأعْلى مِنْ شأْنِهم ...

ونَحْنَ ولاشك نُعاصِرُ زَمَناً أحْوَجُ ما تكُونُ فيه إلى الصّدْق مع الله سُبْحانه

نَحْنُ أُمّة الإسلام ، التى تُعانى فى كُلّ بَضْعةٍ من جِسْمها داءً دَوِيّاً يكادُ يقضى على البقيَّة الباقية منْها ...

ولعلَّ فى الشُّهداءِ الذين مَضُوا على الطريق ، قديماً وحديثاً ، فكانوا المعالم الحيّة فى الدُنْيا والآخرة ، خَيْر حافِزٍ لنا أن نطلب الشهادة .. !

والشهادَةُ فى الله مفْتاح الفلاح لِلأُمم ومبادِئها ...

وضمان ما عِنْد الله ...

وما عِنْده – سبحانه – خَيْر وأبْقى .

والسـلام عَلَيْك .

الفهـــــرس



قال تعالى : وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٧١) صدق الله العظيم